العراق يواجه أزمات متفاقمة نتيجة ركود التنمية وهدر الموارد

شهد العراق انقطاعاً كاملاً للكهرباء في مساحات واسعة، مما يشكل مؤشراً خطيراً على تغير طبيعة التحديات التي تواجه البلاد، والتي أصبحت مرتبطة بالتغيرات المناخية والمشكلات البيئية، وجاء هذا الانقطاع الواسع نتيجة ارتفاع درجات الحرارة بشكل شديد، ما أضاف أحمالاً على شبكة الطاقة الكهربائية ففوق طاقتها وأدى إلى انهيارها.

وجاء في تقرير لصحيفة العرب وتابعته "المطلع"أنه:" لا تمثّل مشكلة الكهرباء سوى جزء من المعضلة الأعقد الناتجة عن تغير المناخ والتي تتجسّد بشكل أكبر في ظاهرة شحّ المياه المتفاقمة بسرعة والمؤثرة بشكل واسع على حياة السكان وأمنهم الغذائي وحتى على توزّعهم الجغرافي، حيث بدأت مجموعات بشرية تفقد بجفاف الأنهار والبحيرات مقومات عيشها وعماد اقتصادها المحلي القائم على الزراعة والرعي وتتجه نحو النزوح إلى مدن متخمة أصلا بالسكان وتعاني مشاكل الفقر والبطالة وما يترافق معهما من تبعات اجتماعية وحتّى أمنية".

ويلحظ متابعون للشأن العراقي بوادر صحوة تنموية تحاول الحكومة الحالية بقيادة رئيس الوزراء محمد

شياع السوداني إطلاقها، الأمر الذي يجعلها في سباق مع الزمن بعد أن تراكمت المشاكل وتفاقمت وأصبحت تتفجّر تباعا فارضة ضغوطا هائلة على السلطات كما هي الحال مع أزمتي الكهرباء والماء.

وشهد العراق الإثنين انقطاعا شبه تام للتغذية بالتيار الكهربائي استمر عدة ساعات وعزته وزارة الكهرباء إلى ارتفاع درجات الحرارة التي بلغت مستوى قياسيا وزيادة في الاستهلاك في محافظتي بابل وكربلاء.

وجاء الانطفاء الأوسع للكهرباء مع وصول درجات الحرارة إلى ما بين 48 و50 درجة مئوية في بغداد وإحدى عشرة محافظة في وسط البلاد وجنوبها.

ويؤثر ارتفاع الطلب على الكهرباء بشكل خاص في محافظة كربلاء حيث يتوافد ملايين الزوار الشيعة هذا الأسبوع لإحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين.

وتعد الكهرباء من أكثر القضايا تعقيدا في العراق، حيث تشتدّ الانقطاعات اليومية للتيار الكهربائي وخصوصا في الصيف عندما تقترب الحرارة من 50 درجة مئوية وتتجاوزها أحيانا، ما يؤدي إلى تصاعد الاستياء الشعبي في بلد ذي بنية تحتية متهالكة وينخره الفساد.

وعلى الرغم من أن العراق عضو في منظمة البلدان المصدرة للبترول أوبك وأحد أكبر منتجي النفط في العالم، يواجه صعوبة في توفير الطاقة لمواطنيه منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003 وأطاح بنظام صدام حسين.

وفي ظل الاضطرابات التي أعقبت ذلك، أدى قصور الاستثمار وسوء الإدارة إلى ترك الشبكة الوطنية غير قادرة على تلبية الطلب.

وألغت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في مارس الماضي إعفاء كان يسمح للعراق، الذي يعتمد إلى حد بعيد على واردات الغاز الطبيعي الإيرانية في توليد الكهرباء، بدفع ثمن الطاقة لإيران في إطار حملة أقصى الضغوط التي يشنها ترامب على طهران.

وقال المتحدث باسم وزارة الكهرباء أحمد موسى في بيان "نظرا لارتفاع درجات الحرارة إلى أرقام قياسية غير مسبوقة وتنامي الطلب على الاستهلاك، وبسبب زيادة الأحمال الكهربائية في محافظتي بابل

وكربلاء المقدسة والتي تشهد زخما مليونيا من الزائرين، فقد تعرض خطا نقل للطاقة إلى الانفصال، وخسارة الشبكة لأكثر من ستة آلاف ميغاواط بشكل مفاجئ وعرضي."

ولم تنقطع التغذية بالتيار الكهربائي في إقليم كردستان العراق، والذي يعمل على تحديث قطاعه الخاص والقادر على توفير الكهرباء لسكانه دون انقطاع.

وأوضح المتحدث باسم هيئة الأرصاد الجوية عامر الجابري لوكالة فرانس برس أن ارتفاع درجات الحرارة في العراق خلال العقود الماضية كان يختلف عن الوضع الراهن.

وأضاف أن "العراق يتعرض الآن لموجات حر أكثر شدة وأكثر تكرارا مقارنة بالقرن العشرين،" مشيرا إلى التغير المناخي والعوامل البشرية.

وأشار أيضا إلى الجفاف وتراجع هطول الأمطار، كما تحدث عن كارثة انجراف الأراضي الزراعية والتصحر.

وتطال ظاهرة شح المياه مختلف مناطق العراق لكنها بدأت تتركّز على نحو استثنائي في مناطق الجنوب ذات المناخ الأكثر جفافا وحرارة لتنسف بذلك أسس دورة زراعية ذات تقاليد راسخة تأسست على مدى العصور والأزمنة حول شبكة من الروافد النهرية والبرك الكبرى التي تتواتر في الوقت الحالي تقارير مقلقة بشأن قرب جفافها واندثارها بشكل كامل.

وما يضاعف الخطر على النظام القائم في البلاد أن تلك المناطق ذاتها، التي مثّلت على مدى العشريتين الماضيتين الخزان الجماهيري والسند الشعبي لأبرز الأحزاب الحاكمة، تحولت بالتدريج إلى معقل رئيسي للاحتجاجات الشعبية بدفع من الأزمات المعيشية والخدمية المتلاحقة، بما في ذلك خدمتا الكهرباء والماء، والتي كثيرا ما يرجعها المحتجون إلى فساد النظام وفشله التنموي المزمن.

وغير بعيد عن هذا السياق حذّر مركز حقوقي عراقي من جفاف تسعة أنهار في البلاد قال إنّها تلفظ أنفاسها الأخيرة حاليا وستترك تداعيات خطرة على حياة السكان المستفيدين
من مياهها.

وقال مركز العراق لحقوق الإنسان إن "الجفاف الذي يضرب محافظات الجنوب، وأبرزها البصرة، لم يعد ظرفا مؤقتا، بل يشهد ارتدادات سلبية متصاعدة يوما بعد آخر، خاصة مع جفاف سبعة إلى تسعة أنهار

تتفرع عن دجلة والفرات.“

وأوضح رئيس المركز علي العبادي، في بيان، أن تلك الفروع ”بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة وهناك العشرات من الصور التي توثّق ذلك المشهد المأساوي،“ محذرا من ”انفجار شعبي مرتقب قد يطال سبع محافظات جنوبية بسبب تفاقم أزمة الجفاف.“

ونبّه إلى أن ”جنوب العراق بات مهددا بتسونامي جفاف واسع يُنذر بغضب شعبي عارم في ظل انعدام الخطط العاجلة واستمرار الإهمال الحكومي.“

وصارت الغالبية العظمى من العراقيين تعتمد على مولدات الكهرباء الخاصة، إلا أن هذا المصدر لا يكفي دائما لتشغيل جميع الأجهزة المنزلية، وخصوصا مكيفات الهواء.

ولفت الجابري إلى أنّ ”مولدات الكهرباء الخاصة وإن كانت مفيدة، إلا أن انبعاثاتها الغازية تؤثر وتساعد في ارتفاع درجات الحرارة.“

وللحفاظ على استمرارية الكهرباء دون انقطاع، يحتاج العراق إلى إنتاج ما يقارب 55 ألف ميغاواط خلال ذروة الاستهلاك. وهذا الصيف، ولأول مرة، تمكنت محطات الطاقة العراقية من الوصول إلى عتبة 28 ألف ميغاواط، وفقا للسلطات.